مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

انتفاضات العشائر للقضاء على حكم المماليك في البصرة ١٧٨٧-١٨٣١ دراسة مقارنة

م.م. حلا مزهر جايد
جامعة ذي قار – كلية الصيدلة

شهد العراق في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تغيرا في الحكم ، فقد انتقلت ادارته من يد الولاة العثمانيين الى المماليك ، الذين جلبهم العثمانيين اليه ، وبسبب سياسة الولادة المماليك شهد العرق احداثا كبيرة واهمها الثورات المتكررة من قبل العشائر العراقية لاسيما عشائر الفرات الاوسط بسبب كثرة الضرائب المفروضة عليهم وسياسة التهميش التي اتبعها المماليك معهم.[١]

خلال حكم المماليك للعراق ظهرت وبصورة لافتة للنظر الثورات التي تقودها العشائر العراقية ضد سياسية المماليك معهم ، وفي هذه الدراسة تناولنا الثورات التي شهدتها البصرة والمناطق القريبة منها كالفرات الاوسط وذلك لقربها من بغداد واحتكاكها الدائم مع المماليك ، واشتملت الدراسة عدة نقاط منها موجز تاريخي عن دخول المماليك للعراق والتطرق الى دور الوالي العثماني حسن باشا الذي كان اول من قام بجلب المماليك الى العراق واعدادهم لادارة البلاد واعطاهم القوة والقدرة في التكمن من السيطرة على كرسي السلطة فيه.[٢]

أن المماليك كانوا مرتبطين بسلالات عسكرية من الأصل التركي والكردي ، وكانوا يمتلكون القوة العسكرية والسياسية في المنطقة وكانوا يحكمون بقوة وشدة ، واستمر حكمهم في مصر وبعض الأقاليم المحيطة بها حتى القرن السادس عشر عندما استولى العثمانيون على مصر وأخضعوها لحكمهم.[٣]

المماليك كانوا مجموعة من العسكريين الأتراك الذين سادت سلطانهم في مصر في القرن الثالث عشر، امتد حكمهم إلى مناطق أخرى في العالم الإسلامي بما في ذلك العراق ، وقد أسسوا حكمًا مركزيًا في البصرة بعد سقوط بغداد، حيث أنشأوا نظامًا إداريًا واقتصاديًا في المدينة ، وفي وقتهم شهدت البصرة تطورًا اقتصاديًا وثقافيًا، اذ شهدت المدينة تجارة نشطة وتبادلًا ثقافيًا بين الشرق والغرب ، ومع ذلك كانت فترة حكم المماليك في البصرة مليئة بالصراعات والتحديات، بما في ذلك التهديدات العسكرية من قبل القبائل المحلية والدول المجاورة.[٤]

بعد فترة حكم المماليك في البصرة ، جاءت فترة جديدة من السيطرة العثمانية على المنطقة ، سقطت البصرة في يد العثمانيين عام ١٥١٧م خلال حملة عثمانية ضد الدولة المملوكية ، استمرت السيطرة العثمانية على البصرة لعدة قرون، حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.[٥]

وكانت انتفاضات العشائر في البصرة ضد حكم المماليك سلسلة من الثورات التي وقعت في الفترة بين عامي ١٧٨٧ و ١٨٣١، كانت المماليك هم مجموعة من العسكريين الأتراك الذين انتزعوا السلطة في مصر والعراق في هذه الفترة ، وكان اول ظهور للمماليك في العراق كقوة عسكرية على يد الواليين حسن باشا الذي وصل الى الحكم عام ١٧٠٤ م وابنه احمد باشا قاما في تثبيت السلطة والقضاء على تمردات والثورات التي كانت تحدث آنذاك بعد ان ضعفت الانكشارية عن اداء واجباتها واصبحت عنصر تمرد على الولاة ، غير ان

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

المماليك استطاعوا ان يتحولوا الى قوة سياسية متنفذة بدأت تطمع في السيطرة على الحكم بعد وفاة احمد باشا عام ١٧٤٧م .[٧]

وكان من الاسباب التي ادت الى اعتماد السلاطين العثمانيين على المماليك هو انحسار وتفكك القوات الانكشارية [٨] ، التي بدات تتهرب من مسؤولياتها واصبحت لا تلتزم بالاوامر العسكرية وليس لها أي حضور ملموس امام الجيش ، وكذلك كان لضعف السلطة المركزية في ادارة بعض اقاليمها الامر الذي ادى الى قيام حكومات محلية قوية تمكنت من ملء الفراغ الناجم عن ضعف الادارة العثمانية .[٩]

والعراق كان ايضا قد شهدت ولاياته عدة محاولات لقوى محلية استهدفت تاسيس حكومات محلية وراثية ، مثل اسرة افرسياب ، والبهدنانية في العمادية ، و الأسرة الجليلية في الموصل والأسرة البابانية في السليمانية . [١٠]

قام حسن باشا بتاسيس دائرة خاصة اطلق عليها اسم (ايج دائرة سي) [١١] ، أي الدائرة الداخلية ومهمتها شراء المماليك وتدريبهم .[١٢]

وعندما تولى الوالي احمد باشا ابن حسن باشا بعد ابيه استمر على نفس النهج وقام بزيادة اعداد المماليك وشرائهم ، وخلال حكمه اصبحوا قوة لا يستهان بها ، وقام باتخاذ بعضهم حرساً يعتمد عليهم وتولى عدد كبير منهم ادارة بعض المدن العراقية واعمال حكومية اخرى .[١٣]

استمرت هذه الانتفاضات لسنوات طويلة وكانت تأتي بسبب عدة عوامل، بما في ذلك الظروف الاقتصادية الصعبة، والتعاسة الاجتماعية، والاستياء من الحكم المماليك والضرائب الثقيلة التي فرضت على السكان المحليين ، كانت العشائر تلعب دورًا مهمًا في هذه الانتفاضات، حيث شاركت فيها ودعمتها بشكل كبير، كانت العشائر تعتبر مركزًا للقوة والتأثير في المجتمعات العربية التقليدية، وكانت لها قدرة كبيرة على تنظيم وتوجيه الجهود الجماعية. تعتمد هذه العشائر على الولاء والانتماء القوي لأفرادها، وكانت قادرة على تجنيد أعداد كبيرة من الأفراد للمشاركة في القتال ودعم الحركات الثورية. كما كانت العشائر تمتلك شبكات اجتماعية واقتصادية وثقافية تسهل التنسيق والتعاون في سبيل تحقيق الأهداف المشتركة ، بعد وفاة سليمان باشا عام ١٧٦٢م حاولت السلطة العثمانية فرض سيطرتها على العراق من جديد من خلال ارسال والي الرقة سعد الدين واليا على بغداد ، لكن هذا التعيين جوبه برفض شديد من المماليك ، الذين قاموا بتعيين (علي اغا) واليا على بغداد وتمكن من السيطرة على بغداد وازاحة منافسيه ، وكان اول اعماله تجريد حملات عسكرية عديدة ضد العشائر المتمردة على مثل عشائر بني لام ١٧٦٣م ، وعشائر الخزاعل في السماوة وبني كعب في شرق البصرة ، وتم اغتياله عام ١٧٦٤م .[١٤]

تمتلك العشائر قوة كبيرة في المناطق الريفية وكانت قادرة على تنظيم التمرد والمقاومة ضد الحكومة المركزية ، تمت الانتفاضات بشكل متكرر خلال هذه الفترة، وقد تواصلت حتى استطاعت العشائر تحقيق أهدافها، وامتلكت العشائر في هذه الفترة هياكل تنظيمية جيدة وشبكات اجتماعية تمكنها من تنظيم وتنسيق الهجمات والمقاومة ضد السلطة المركزية ، كانت هذه الانتفاضات تعكس أيضًا احتجاجات اجتماعية واقتصادية ضد الظلم والاستغلال الذي فرضه المماليك على الشعب ، بالرغم من تنوع العوامل والأسباب وراء هذه الانتفاضات، إلا أنها توحدت حول الهدف المشترك الذي هو إسقاط حكم المماليك وتحقيق الحكم الذاتي ، وبالفعل نجحت هذه الانتفاضات في إلحاق هزيمة بالمماليك وفرض سيطرة العشائر المحلية على المنطقة، على الرغم من أن هذه الفترة شهدت أيضًا صراعات داخلية بين العشائر لتحديد من سيسيطر على السلطة فيما بعد ، اما المدة من ١٧٧٥-١٨٣١ م فقد شهدت عاقب ولاة مماليك على السلطة في بغداد ، وبدات القوى الاوربية في التدخل في ترشيح الولاة وتعيينهم ممن يجدون فيه تحقيق مصالحهم في العراق ،

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وكذلك لغاية القوى الاوربية ابقاء العراق تحت حكم المماليك ، وتغلغلت القوى الاوربية بشكل كبير وملحوظ في العراق ابان عهد المماليك وذلك لاهمية العراق الستراتيجية في الخليج العربي وطريق المواصلات الى الهند ، فاصبح التضارب الاوربي والتنافس على اهمية طرق العراق لاسيما بعد قيام الحرب بين بريطانيا وبروسيا ومجموعة امارات المانيا ضد فرنسا والنمسا وروسيا اي اشتركت فيها معظم الدول الاوربية ضد بعضها البعض والتي سميت حرب السبع سنوات (١٧٥٦م-١٧٦٣م) ، وقد استغلت بريطانيا طريق العراق الى الهند ورفعت درجة وكالتها التجارية في البصرة الى قنصلية .[١٥]

لم يستقر الوضع في العراق في عهد المماليك اذ كانت الثورات تندلع بين وقت واخرى لاسيما في عشائر الفرات الاوسط بسبب رفض العشائر دفع الضرائب للحكومة لجسامتها التي تؤدي الى اعلان العصيان من قبل هذه العشائر ، كذلك ساعدت العادات والتقاليد في المجتمع العراقي شيوخ العشائر في اعلان ثوراتهم ويستمدون قوتهم من الولاء المطلق لهم من قبل عشائرهم .[١٦]

وتكبد المماليك خسائر كبيرة من جراء قيام هذه الثورات واستنزفوا الكثير من طاقاتهم البشرية والمادية ، اذ ان الحملات التي جردها المماليك ضد هذه الثورات مكلفة جدا ، وعلى الرغم من ان هذه الحملات كان لها تثيرا على العشائر وتشريد بعض افرادها وقتل البعض الاخر والاستيلاء على الاموال والمواشي والممتلكات التي يعتبرها المماليك غنائم لهم ، وكذلك يقومون بخلع شيخ العشيرة واستبداله بعد فراره منهم الى منطقة اخرى .[١٧]

وكان للمواجهات بين المماليك والفرس من الاسباب التي شجعت العشائر في الفرات الاوسط على الثورات ، بسبب انشغال حكومة المماليك بتلك المواجهات ، فلجاء المماليك الى طريقة لتفتيت الولاء العشائري لشيخ العشيرة واضعاف العشائر عن طرق التفرقة فيما بينهم ، فقاموا باستبدال الشيوخ الذي يقودون ثورات ضدهم في مشيخة العشيرة بأبناء عمهم او ابناء اخوتهم الموالين لهم ، الامر الذي يؤدي الى تفرق ابناء العشيرة بين هؤلاء الشيوخ في الولاء .[١٨]

وشهد حكم المماليك للعراق ثورات كثيرة من قبل العشائر العراقية وفي مناطق متفرقة ، وكان قمع هذه الثورات من اولويات الحاكم المملوكي ، اذ كانت هذه الثورات نشطت في بداية حكم المماليك لاسيما عشائر الفرات الاوسط ، لكن مع بداية حكم سليمان باشا (ابو ليلة) ضعفت الثورات العشائرية بسبب شدة ردود الاخير في تعامله مع هذه الثورات وكان شديد الوطأة على العشائر المتمردة وتعاملهم معهم تعاملا قاسيا ، لكن بعد وفاته عام ١٧٦٢م بدت في العراق موجة من الاضطرابات استمرت حوالي سنتين ، وبدات بالاستقرار في عهد عمر باشا عام ١٧٦٤ م ، اذ قام في بداية حكمه بالهجوم على شيخ الخزاعل حمود الحمد [١٩] اذ كان امره مستفحلا واصبحت له اليد الطولى في التأثير على البلاد وكان يرفض تنفذ أي اوامر تصدر من حكومة الوالي ، وجهز عمر باشا جيشا كبيرا عام ١٧٦٤م بعد ان وصلته الاخبار بان حمود الحمد شيخ الخزاعل قام بعقد اتفاقات وعهود مع العشائر المجاورة له واصحبت كل هذه العشائر تحت امره. [٢٠]

بقيت العشائر في تمرد دائم وعدم استقرار البلاد واستعمل الحاكم المماليك اشدة اساليب القسوة في ردهم ، وكان الوالي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢) اكثر الولاة شدة وعنفا في تعامله مع الثورات العشائرية لاسيما في لواء الحلة ، وكان مستمرا في ارسال الحملات العسكرية الها والى الشيخ حمود الحمد الذي ظل يقود التمردات العشائرية ، وكانت الثورات مستمرة في مناق متفرقة من العراق وكان الوالي المملوكي يستخدم كل الطرق ما بين القسوة والترضية في سبيل كسب العشائر والحد من ثوراتهم .[٢١]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

لم يتوانى الوالي سليمان باشا الكبير في استعمال اعنف طرق الرد العسكري ضد ثورات العشائر ، لكن العشائر لم يذعنوا له بل كانوا يقاومونه ويثورون في أي وقت يرونه مناسبا لهم ، ففي عام ١٧٨٣ م قام الشيخ محسن شيخ الشامية بثورة ضد حكومة المماليك ، وعلى الفور جهز سليمان باشا الكبير جيشا لقمه ثورته ، وعندما وصلت الحملة الى الشامية استعمل الوالي المملوكي اسلوب النصح ولم يتوصل الى نتيجة مع الشيخ محسن ، وقامت قوات المماليك بالهجوم عليهم وقضت على اغلب افراد العشيرة ونهبوا املاكهم واموالهم ور الشيخ محسن ، وقام سليمان باشا الكبير بخلعه والحق مشيخته بالشيخ حمد الحمود شيخ الخزاعل الذي اصبح شيخ الشامية والجزيرة والخزاعل .(٢٢)

لم تتوقف الثورات العشائرية اذ كانت تقوم بين مدة واخرى بسبب تلكؤ العشائر عن دفع الضرائب والرسوم المترتبة عليها ، ففي عام ١٧٩٢ امتنع شيخ الخزاعل محسن الحمود عن دفع الضرائب المترتبة على عشيرته ، فارسل اليه سليمان باشا الكبير حملة بقيادة احمد الكتخدا ، وانتهت الحملة بخضوع الشيخ محسن الحمود لحكومة المماليك والاذعان لها وتعهد بتسديد الضرائب المطلوبة منه فسامحه سليمان باشا الكبير وابقاه على مشيخته بعد اخذ الرهائن من افراد عشيرته.(٢٣)

رفضت اغلب افراد عشيرة الخزاعل هذا الرضوخ من قبل الشيخ محسن الحمود واتصلوا بالشيخ حمد الحمود واعلنوا انضمامهم اليه وخلع الشيخ محسن الحمود ، وفي عام ١٧٩٣م اعلن الشيخ حمد الحمود ثورته ضد حكومة المماليك ، فارسل الوالي المملوكي قوة عسكرية بقيادة الكتخدا علي باشا ، الذي حاصر عشيرة الخزاعل وضيق عليهم الامر الذي دفع حمد الحمود الى ارسال الوساطات والشيوخ للتدخل وطلب العفو ، ورفض علي باشا كل الوساطات وامر بالهجوم على عشيرة الخزاعل وهزمهم وفر الشيخ حمد الحمود الى الشامية ، وقام علي باشا بجعل سبتي المحسن شيخا على الخزاعل في الجزيرة ومحسن الغانم شيخا على الخزاعل في الشامية واستوفى منهما الضرائب وعاد بقواته الى بغداد.(٢٤)

كان حكام المماليك يتبعون سياسية ضرب العشائر ببعضها لتفريق قوتهم ويستغلون الخلافات بين شيوخ العشائر لمصلحتهم وعندما تولى داود باشا الحكم في العراق سنة ١٨١٧ م جعل اولى مهام حكمه هو القضاء على تمرد العشائر ، اذ مر بتجربة بداية حكمه عندما كان الصراع على الحكم بين المماليك استغلت العشائر هذا الامر وكادت تقضي على حكمه ، فقد سيطرت العشائر على طرق القوافل وتفرض الاتاوات ويغزو بعضها البعض الامر الذي جعل المجتمع العراقي يرزخ تحت وطاة التحكم العشائري بصورة كبيرة.(٢٥)

وهناك دراسات مشابهة لموضع دراستنا حاليا ومنها :

١. دراسة الباحث عبد الأمير عبد الوهاب الرفيعي المعنونة بـ (حرب الجنوب والاستيلاء على البصرة)

في سنة ١٧٠٠م، عادت الجيوش العثمانية إلى البصرة ولكن عودة الجيوش لم تعد الأمور إلى نصابها، ولم يشاهد القرن الجديد إلا المزيد من ضعف الإدارة وارتباكها، وكان من مظاهر ضعف الحكم العثماني، في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر الميلادي غياب السلطة في جنوب العراق(٢٦).

في سنة ١٧٠٤م توفي والي البصرة محمد باشا القبطان فعهدت الدولة بالمنصب إلى والي بغداد علي باشا غير أنه عزل بعد فترة قصيرة، وتوفى وهو في طريق العودة إلى بغداد. بعد عزل علي باشا ظلّت البصرة بدون والي يدير شؤونها.(٢٧)

استغل الأمير مغامس بن مانع رئيس المنتفك، ضعف الحكم العثماني وغياب السلطة في تلك الفترة فتقدم برجاله واستولى على البصرة، وأقام فيها حكومة عربية برئاسته ، تمـكنت مـــــن بسط نـفوذها على أغلب المناطق الزراعية في جنوب العراق. (٢٨)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

في تلك الفترة كانت سلطة المنتفك توحد تحت رايتها ثلاث مجموعات عشائرية كبيرة، أغلبها من العشائر النهرية التي تعمل في الزراعة في حوض نهر الفرات وتفرعاته جنوبي السماوة والتي تمتد إلى الأطراف الجنوبية لنهر الغراف مع عدد من العشائر التي تنتشر في مناطق الأهوار أو العشائر التي ترتبط مصالحها الرعوية في تلك المناطق. ولما كانت خصوصيات الزراعة النهرية في وادي الرافدين تفرض على تلك العشائر التعاون فيما بينها، ضمن مصالحها المشتركة التي ترتبط بالماء والرعي وإدارة ذلك المجتمع الزراعي، فإن تلك الخصوصيات أدّت في تلك المرحلة التاريخية إلى تكتل عشائر الجنوب في تلك الأثلاث التي كان كل ثلث منها يمثل مصالح مجموعة من تلك العشائر.[٢٩]

في نفس الوقت فإن طبيعة الصراعات المريرة التي خاضها عرب جنوب العراق من أجل البقاء والتمسك بالأرض، والوقوف بوجه مشاريع الإقطاع العسكري العثماني، أدت إلى اتحاد تلك المجموعات العشائرية تحت راية رئاسة المنتفك، فصاروا يعرفون بأثلاث المنتفك وهم: [٣٠]

- ثلث الأجود
- ثلث بني مالك
- ثلث بني سعيد

كان الشيخ مغامس طيلة تلك المدة يدير شؤون حكومة البصرة ويبت بالأمور بصورة مستقلة عن حكومة بغداد التي أستلم مقاليد الحكم فيها الوالي الجديد حسن باشا، وعلى هذا الأساس كانت الجهات الأجنبية تتعامل مع حكومة الأمير مغامس بما يخص مصالحها بالبصرة.[٣١]

إن قيام ذلك الحكم المستقل بالبصرة واتساع نفوذه، كان يمثل أخطر تهديد للسلطة التي كان حسن باشا يواصل تشيدها ببغداد. ولابد أن القضاء على الحكومة العربية بالبصرة التي قامت عشية وروده العراق كان أهم أهداف حسن باشا في تلك الحقبة المضطربة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية بصورة عامة وحكومة العراق بصورة خاصة، ولكن بالرغم من أهمية ذلك الهدف كان حسن باشا يدرك خطورته، ويعلم بأن حكومة بغداد لم تكن تملك الوسائل الكافية لتحقيق ذلك الهدف.[٣٢]

مع حلول عام ١٧٠٨م وبعد أن أحكم حسن باشا سلطته على بغداد ووسط العراق توجهت أنظاره إلى جنوب العراق. كان حسن باشا يدرك أن القضاء على حكومة عرب جنوب العراق برئاسة الأمير مغامس يحتاج إلى قوات عسكرية كبيرة لم تكن متوفرة لديه، وأنه بحاجة إلى دعم عسكري كبير من حكومة السلطان.[٣٣]

على هذا الأساس أجرى حسن باشا مشاورات واسعة مع السلطات العثمانية العليا في اسطنبول للحصول على قوات عسكرية عثمانية إضافية توضع تحت تصرفه، ليتمكن من قيادة حملة عسكرية كبرى باسم الدولة للاستيلاء على البصرة، والقضاء على حكومة المنتفك برئاسة مغامس بن مانع آل شبيب.[٣٤]

تحمست المراجع العليا في اسطنبول لمشروع احتلال البصرة، وقررت أن تضع تحت تصرف حسن باشا ما يمكن جمعه من فرق عسكرية لإنجاز تلك المهمة. باشر حسن باشا بتجهيز قواته العسكرية وبعد فترة أخذت الوحدات العسكرية العثمانية تتوارد إلى بغداد. فوصلت قوات كبيرة من كركوك بقيادة محافظها يوسف باشا، ووردت قوات أخرى من ديار بكر بقيادة الوالي رجب باشا، وفرق عسكرية من سلحدارية السلطان بقيادة حسن باشا ، ووصل لواءان من الموصل بقيادة الوالي شهسوار زاده ، في تلك الأثناء أرسلت الدولة فرمان يولي حسن باشا على البصرة (بالإضافة إلى ولاية بغداد).[٣٥]

في أول رجب ١١٢٠هـ (١٦ أيلول ١٧٠٨م) خرج حسن باشا إلى جانب الكرخ لاستكمال الاستعدادات لتلك الحملة العسكرية الكبيرة، وفي ٢٣ أيلول بدأت الجيوش العثمانية بقيادته التوجه جنوباً باتجاه الحلة، ومنها

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

سارت نحو السماوة فوصلتها في غرة شعبان (منتصف تشرين الأول). من هناك سار حسن باشا نحو ديار المنتفك فوصل إليها في ٦ شعبان ٢٢ تشرين الأول.[٣٦]

ادركت عشائر المنتفك أهمية المعركة القادمة حول البصرة وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج سياسية وعسكرية، فهبوا لنجدة البصرة والدفاع عن حكومتها، هكذا سارت جموع العشائر من مختلف أنحاء العراق نحو ساحة المعركة، فوردت نجدات القبائل من قرب بغداد، ومجموعات كبيرة من المقاتلين من قبائل الفرات الأوسط التي انضمت إلى قوات الشيخ سلمان رئيس الخزاعل الذي سبق وأن التجأ إلى أمير المنتفق منذ حرب الفرات الأوسط. وجاءت قبائل عربية من الأحساء وأخرى من الحويزة. والتحق بذلك الجمع عشائر السراج (من ربيعة) وعشائر زبيد وبني خالد، وقبيلة غزية وعشائر المياح (منطقة الغراف)، وعشائر شمر. وقد ملأت جموع المقاتلين العرب، السهول والوديان وجاوزت أعدادهم المائة ألف مقاتل.[٣٧]

دخل حسن باشا البصرة في آخر شهر رمضان ١١٢٠هـ (١٣ كانون الأول ١٧٠٨م) واحتفل هناك بالعيد ووزع الهدايا على الوزراء وقادة العسكر الذين ساهموا في تلك الحرب، وأمر السكان بلزوم الطاعة. بعد أيام قام بزيارة مقام طلحة و الزبير قرب البصرة ثم قفل راجعاً إلى بغداد. [٣٨]

تعد معركة البصرة نقطة تحول في تاريخ العراق لصالح الحكم العثماني، بعد أن تمكن حسن باشا من إعادة تنظيم أجهزة السلطة ببغداد، والقضاء بالقوة العسكرية على كيانات عرب العراق، التي كانت في جوهرها كيانات لإدارة وتنظيم الحياة الزراعية في وادي الرافدين والتي بلغت مع نهاية القرن السابع عشر مراحل متقدمة، ففي الجنوب تمكنت القبائل العراقية من إقامة إدارة مستقلة عاصمتها البصرة بعد طرد الحكام العثمانيين منها. وفي الوسط تمكنت قبائل الفرات الأوسط بزعامة الخزاعل من السيطرة على مناطقها وتنظيم حياتها الزراعية والاجتماعية باستقلالية كبيرة. وكذلك كان الحال بدرجات متفاوتة مع بني لام وربيعة وزبيد. في تلك الفترة زادت مشاعر الخوف والهلع في أوساط المجتمع العثماني الحاكم ببغداد. خاصة بعد أن بلغت غارات بعض القبائل العراقية مشارف العاصمة، وفي أثناء ذلك ارتفعت أصوات عدد من الزعماء العراقيين منادية بطرد العثمانيين من بغداد، وإقامة حكومة عربية فيها.

إن الوقائع التاريخية تشير إلى أن التحولات الاقتصادية والسياسية في القرن السابع عشر، أوصلت المجتمع العراقي مع نهاية ذلك القرن، إلى مشارف تحولات تاريخية وشيكة، وأن أحداث تلك الحقبة مثلت بمجموعها، إرهاصات مرحلة جديدة كان جوهرها، إنهاء الحكم العثماني في العراق.[٣٩]

ان اوجه التشابه بين هذه الدراسة ودراستنا الحالية التقت في ثورات العشائر التي قامت جنوب العراق ومن ضمنها البصرة والمعارك التي دارت بينهما ومحاولة تأسيس امارة او حكم عربي على العراق بدل المماليك.

٢. دراسة علاء اللامي ، الانتفاضة عرب العراق سنة ١٧٨٧ ضد حكم المماليك.

أبرز تلك الانتفاضات، كان قد استفحل أمرها على السلطة وعمت معظم أرجاء العراق، وهددت حكم المماليك الأتراك بالسقوط وكاد الثوار فيها أن يدخلوا بغداد - بل دخلوا جانب الكرخ منها ومنطقة الكاظمية في ضواحيها - ويستولوا على مركز الوالي، أيام سليمان الكبير (١٧٨٨- ١٨٠٢م) ، قاد تلك الانتفاضة سنة ١٧٨٧ ثلاثة من زعماء القبائل العربية هم: الشيخ سليمان بن عبد الله الشاوي أحد أمراء عشيرة العُبيد الذي كان يسكن ببغداد. والشيخ ثويني العبد الله شيخ عشائر المنتفك "ذي قار اليوم"، والشيخ حمد بن حمود الخزعلي "الخزاعي" رئيس قبيلة خزاعة في الفرات الأوسط، وهذه الانتفاضة عرفت فيما بعد بالثورة الثلاثية.[٤٠]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ان السبب المباشر في تلك الانتفاضة فكان بسبب صراع دار بين الشيخ سليمان الشاوي وبين الكتخدا "المعاون المالي" أحمد أغا المهردار، والذي كان العراقيون يدعونه "ابن الخربندة". وقد عارض الشيخ الشاوي تعيينه لمثل هذا المنصب الرفيع بسبب وضاعته وقلة كفاءته وسوء خلقه وجهله التام. ولكن الشاوي لم يأخذ برأي الشاوي بل عين ابن الخربندة في المنصب لأنه تركي مثله ، وان خطة المماليك التي كانت تهدف إلى إقصاء الموظفين العراقيين من كل المناصب العالية في البلاد أسقطت في يد الشيخ الشاوي، وحالت دون تحقيق أمله ، وحين تولى ابن الخربندة منصبه، صار يوغر صدر الوالي ضد الشيخ الشاوي ويحاول أن يوقع بينهما، ويوهم الوالي بأن الشيخ طامع في الباشوية وولاية بغداد [٤١]

اصطدمت القوتان قرب الفلوجة، ودارت رحى معركة عنيفة، انكسر فيها جيش حكومة المماليك، وهُزمَ بعد أن قتل عدد كبير من أفراد الحملة وأسِر عدد آخر منهم بضمنهم قائد الحملة خالد آغا وأركانها وضباطها ، بعد شهر واحد على هذا الانتصار، زحف الثوار نحو بغداد، واستولوا على الكاظمية ودخلوا الكرخ بعد قتال عنيف (وبهذا حاول الشيخ سليمان الشاوي أن يؤسس دولة عربية في العراق فجرت بينه وبين سليمان باشا عدة معارك حتى كاد أن يستولي على بغداد سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٧ . [٤٢]

فزعت الحكومة وجمع الوالي بسرعة قوات كبيرة وساق للتجنيد عددا من سكان بغداد، ثم تسلم بنفسه قيادة الحرب. وكادت الانتفاضة تطيح بحكم الوالي لولا سلاح الخديعة والتفريق بين الثوار، ولولا قبيلة عقيل في بغداد التي تصدت للثوار، وحينذاك رجحت كفة جيش الوالي فتراجع الشاوي وتقهقر الى البادية، ولكن قوات الوالي بقيت تتعقبه فقرر التوجه نحو المنتفك، مستنجدا بالشيخ ثويني العبد الله فوجده متأهبا للنصرة والقتال ، اجتمع الشيخان الشاوي والمنتفكي وقررا بعد مناقشة الوضع دعوة الشيخ حمد الحمود شيخ الخزاعل "خزاعة"، فاستجاب لدعوتهما في الحال وأعلن العصيان على الحكومة في منطقة الفرات الأوسط والفرات الجنوبي ، تحرك الشيخ ثويني العبد الله واستولى على البصرة وطرد متسلمها التركي إبراهيم أفندي، وأعلن فيها تأسيس الحكم العربي. وبذلك تم للثوار تحرير الجزء الأكبر من وسط العراق والجزء الجنوبي منه برمته. [٤٣]

قرر الزعماء الثلاثة إنهاء حكم المماليك وإنشاء كيان عربي في العراق كله، يتبع للسلطنة العثمانية ويستمد شرعيته من رضا أهل البلاد وترشيحهم ، فسلكوا الطريقة المعروفة آنذاك ونظموا "مضبطة" وجهوها الى السلطان العثماني وقد وقعها وجهاء البصرة وأشرافها ورؤساؤها والشخصيات الوجيهة فيها وقسم كبير من العشائر العربية العراقية وطالبوا فيها تعيين الشيخ ثويني العبد الله واليا على العراق بأجمعه ، وذكروا في المضبطة (إنه لا يصلح لولاية العراق عموما ولوزارة بغداد وتامين الطريق إلا ثويني العبد الله، فإنه هو الأسد الذي يحميها من العجم، مكررا بذلك طموح جده في مُلك العراق). [٤٤]

ثارت ثائرة المملوك التركي سليمان باشا الكبير حين سمع بخبر المضبطة المرفوعة إلى الباب العالي، وخشي خشية شديدة من أن تستجيب السلطات في الإستانة لنداء الثوار الثلاثة وتحقق لهم مطلبهم، وهو يعرف أن قيام ثورة عربية موحدة معناه تهديد حكم المماليك في العراق، وتقويض سلطتهم نهائيا، بل قد يتعرض الحكم التركي برمته إلى الزوال في العراق، لذلك عمل الوالي بسرعة ونشاط وخبث ولجأ إلى سلاح الخديعة والوقيعة فعمل على تفرقة العرب أنفسهم واستعان بالأكراد لمحاربة العرب كما كان يستعين بالعرب لمحاربة الأكراد ، لذلك أصدر أمره الى إبراهيم باشا الباباني متصرف ألوية كويسنجق وحرير وبابان (الذي عينه والي بغداد سليمان باشا متصرفا بدلا من محمود باشا بابان الذي قادر تمردا قبليا فاشلا سنة ١٧٨٢هرب بعده الى بلاد فارس.) ومتصرف درنة بتجنيد المتطوعين، فتألفت بذلك أضخم حملة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

عسكرية تشنها الحكومة على عشائر العراق وأبنائه الرافضين للحكم الأجنبي. وتسلم الوالي بنفسه قيادة الجيش وسار به نحو البصرة بحوالي عشرين ألف مقاتل.[٤٥]

تصدى مقاتلو قبيلة الخزاعل لجيش الحكومة المتجه نحو الجنوب في الفرت الأوسط وأبدوا مقاومة باسلة وألحقوا به خسائر فادحة ولكنهم لم يستطيعوا الصمود بوجه جيش الحكومة حتى النهاية بسبب ما كان لديه من الأسلحة الحديثة والأعداد الضخمة من الجنود فتراجع الشيخ حمد بن حمود الخزعلي بقواته إلى الجنوب لينظم إلى قوات حليفيه ثويني والشاوي في المنتفك فنظم هؤلاء قواتهم من جديد ووحدوها وقسموها الى خيالة ومشاة وساروا لملاقاة جيش الوالي.[٤٧]

التقى الجيشان في منطقة تدعى "أم الحنطة" وحدثت معركة رهيبة اشترك الوالي نفسه بالقتال المستميت الذي يتقرر فيه مصير حكمه وحكم المماليك في العراق بنتيجتها. وحاربت القوات العربية بشجاعة وضراوة نادرتين. وأنزلت إلى الميدان في موجة واحدة حوالي عشرة آلاف فارس مسلح يؤازرهم مثلهم من المشاة واستمر القتال سجالا طوال يوم الرابع من محرم سنة ١٢٠٢ هـ حتى مالت كفة الحرب لمصلحة جيش الوالي وتراجعت جيوش الانتفاضة العربية بعد أن قدمت ثلاثة آلاف شهيد من الفرسان وعدد كبير من المشاة. وبنى المماليك من جماجم شهداء عرب المنتفك ثلاث منارات. ولكن القادة الثلاثة استطاعوا النجاة بعد أن ظلوا يديرون دفة القتال بأنفسهم حتى نهاية المعركة ، هكذا انتهت انتفاضة جريئة رائدة قامت وسط أعتى حكم أجنبي عرفه العراق، اتسم بالظلم والفساد، وتبدد حلم كبير كان يراود العراقيين بالخلاص من الحكم الأجنبي منذ دخول المغول سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨م، كان من الممكن أن تبدأ به فترة حكم عربي واستقلال ذاتي يتطور بعدها الى استقلال تام، وبقي أملا يراود العراقيين بثورة عربية أخرى ضد الحكم الأجنبي إلا أنها تأخرت ولم تتحقق بالشكل والصورة ذاتها إلا بعد قرن ونصف القرن من الزمان وذلك في ثورة العشرين ضد الاحتلال الإنكليزي في العراق.[٤٧]

ان اوجه التشابه بين هذه الدراسة ودراستنا الحالية انهما اتفقتا على ان اقوى الثورات التي قامت من قبل العشائر والتي كادت ان تنهي حكم المماليك في العراق هي الثورات التي قامت بها عشائر الجنوب ولاسيما البصرة ، اما الاختلاف بينهما فان الدراسة تناولت ثورات العشائر في عموم العراق ولم تختص بمحافظة او مكان معين من العراق عكس دراستنا التي تناولت ثورات عشائرة البصرة .

الهوامش :

١. علاء موسى كاظم ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٢٥.
٢. ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص٣٧.
٣. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحدث ، ج١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص١٥٤.
٤. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص٣١.
٥. ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص٣٧.
٦. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص٢٥.
٧. محمد فريد تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٢١ ، ص٤١.
٨. ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص٣٨.
٩. عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص٤٠.
١٠. ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص٣٨.
١١. ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، تر: جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص٤٢٣.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

١٢. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص٢٦.
١٣. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص١٥٤.
١٤. كارسنن نيبور ، رحلة نيبور للعراق في القرن الثامن عشر ، تر : محمود حسين الامين ، بغداد ، ١٩٦٥ ،ص ٥٩.
١٥. رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، تر : علاء موسى كاظم ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص٢٨-٣٠.
١٦. المصدر نفسه ، ص ٤١.
١٧. محمد علي الصوفي ، المماليك في العراق ، الموصل ، ١٩٥٢ ، ص٥٥.
١٨. المصدر نفسه ، ص ٥٨.
١٩. المصدر نفسه ، ص٦٠.
٢٠. حمود الساعدي ، بحوث عن العراق وعشائره ، النجف ، ١٩٩٠ ، ص٧٧.
٢١. مؤيد احمد خلف الفهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (١٧٥٠-١٨٦٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢ ،ص٦٧.
٢٢. صادق جعفر الانصاري ، العراق في عهد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨ ، ص٥٠.
٢٣. لونكريك ، المصدر السابق ، ص٢٤٢.
٢٤. رسول الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص١٨٠.
٢٥. عباس ا لعزاوي ، المصدر السابق ، ص٩٣.
٢٦. المصدر نفسه ، ص ٩٤.
٢٧. مؤيد احمد خلف الفهد ، المصدر السابق ، ص٦٨.
٢٨. احمد جودت ، تاريخ جودت ، ج٣ ، اسطنبول ، د.ت ، ص٢٣٢.
٢٩. عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ص١١٢.
٣٠. علاء موسى كاظم ، المصدر السابق ، ص١٥٧.
٣١. المصدر نفسه ، ص١٢٠.
٣٢. رسول الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص٢٦٠.
٣٣. علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٢٢٥.
٣٤. رسول الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص٢٦٢.
٣٥. المصدر نفسه ، ٢٢٣.
٣٦. احمد جودت ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص٣٢.
٣٧. المصدر نفسه ، ص٣٤.
٣٨. عباس العزاوي ، مصدر سابق ، ص١٨٠.
٣٩. ياسين العمري، غاية المرام في تاريخ بغداد، دار السلام، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٩٠-١٩١.
٤٠. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، ج١، بغداد، ١٩٤٨، ص ص٧٠-٧٢.
٤١. عدنان حسن محبوبة، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٨٢.

ISSN–2536–0027

٤٢. محمد حسن علي مجيد، انتفاضة سنة ١٧٨٧ العربية الثلاثية ضد حكم المماليك، مجلة (آفاق عربية)، العدد الاول، تموز ١٩٧٩، ص٩-١٠.
٤٣. المصدر نفسه ، ص ١٢.
٤٤. المصدر نفسه ، ص١٣.
٤٥. علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٦، ص ٢١٣ .
٤٦. المصدر نفسه ، ص٢١٥.
٤٧. محمد حسن علي مجيد ، المصدر السابق ، ص ١٣.

المصادر

اولا : المؤلفات

١. احمد جودت ، تاريخ جودت ، ج٣ ، اسطنبول ، د.ت
٢. حمود الساعدي ، بحوث عن العراق وعشائره ، النجف ، ١٩٩٠
٣. رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، تر : علاء موسى كاظم ، بيروت ، ١٩٦٣
٤. ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٥٧
٥. ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، تر: جعفر الخياط ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٦٤
٦. عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٦ ، بغداد ، ١٩٥٤ ،
٧. علاء موسى كاظم ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م ، بغداد ، ١٩٧٥.
٨. علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٦
٩. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحدث ، ج١ ، بيروت ، ٢٠٠٥
١٠. كارسنن نيبور ، رحلة نيبور للعراق في القرن الثامن عشر ، تر : محمود حسين الامين ، بغداد ، ١٩٦٥
١١. محمد علي الصوفي ، المماليك في العراق ، الموصل ، ١٩٥٢
١٢. محمد فريد تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٢١
١٣. ياسين العمري، غاية المرام في تاريخ بغداد، دار السلام، بغداد، ١٩٦٨.
١٤. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، ج١، بغداد، ١٩٤٨.

ثانيا : الرسائل والاطاريح

١. صادق جعفر الانصاري ، العراق في عهد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٨.
٢. عدنان حسن محبوبة، مقاومة العراقيين للنفوذ الاجنبي ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠
٣. مؤيد احمد خلف الفهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (١٧٥٠-١٨٦٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢

ثالثا : البحوث المنشورة

١. محمد حسن علي مجيد، انتفاضة سنة ١٧٨٧ العربية الثلاثية ضد حكم المماليك، مجلة (آفاق عربية)، العدد الاول، تموز ١٩٧٩